15

الإعلام في سوريا ألـة دعائية بحتة، وهي خاصية مشتركة بين كل اطراف المشهد: هنا قراءة في التفاصيل. والجزء الخامس من بحث «العدالة الاحتماعية والانتفاضات العربية» يتقصى مسائل المساواة والكرامة.

بتجاهله. والإحراءات الاقتصادية الأخيرة في مصر تستند الى تجاوز الخشية من الغضب العام.

مغامرة موسيقي اسرائيلي يحاول

اشراك مغنية قلسطينية في اغان

«إنسانوية»، ويكتشُّف أَثناءً

سعيه وتجواله ما كان يجهله/

الخميس 4 حزيران 2015 _ الموافق 17 شعبان 1436 هـ _ العدد 13085

1967: آلة السفر عبر الزمن

تتلخّص المصيبة الحقيقيّة التي وقعت في الخامس من حزيران/ يونيو 1967 بَأنّها تثبيّت لنتائج النكبة. هزيمة مشروع سياسي نهضويّ الملامح يرفض التسليم بنتائج التطهير العرقى الذي وقع لفلسطين في العام 1948. قبلها، كأنت اللحظة التاريخيّة المسمّاة بالنكبة لا تزال مفتوحة، أما بعد احتلال شرق القدس والضفة الغربيّة وقطاع غزّة وسيناء والجولان، فقد تحوّل هاجس الرجوع عن نتائج «النكسة»، والمطالبة بالإنسحاب الإسرائيلي من «المناطق المحتلّة»، إلى إرادة سياسيّة ومشروع سياسي بحد ذاته، حاولت الأنظمة السياسيّة العربيّة ۗ «الثوريّة» أن تمضى فيه رداً على الصفعة ـ التاريخيّة التي تلقّتها وهزتُ قاعدتها الشعبيّة.

حوّلت الهزيمة الواقع الفلسطينى الناشئ بعد التطهير العرقيّ من حالةً مؤقّتة إلى معطى ثابت في المعادلة السياسية والعلاقة مع إسرائيل. وبطريقها، أنشأت حالة فيها عالمين متوازيين داخل وطن واحد وتحت سلطة واحدة، بينما تختلف في كلّ واحد منهما الظروف الاجتماعيّة، والمكانة القانونيّة للناس، وهويّة «الأغلبيّة»، وأدوات القمع والإرادات السياسيّة لأبناء الشعب ذاته. عالمان متوازيان يختلف الواقع فيهما بحسب سنة البداية / سنة التكوّن / سنة

يفصل بين هذين العالمين خط أسمه الخطّ الأخضر. على بعض صفحات الانترنت نجد هذا التعريف البسيط: «هو الخطّ الفاصل بين الأراضي المحتلّة العام 1948 والأراضى المحتلّة العام 1967». تُعريف بسيط وواضح وصحيح من حيث توصيفه للواقع. لكنّ كتّابه لم ينتبهوا، على الأرجح، لما يحمله التعبير من غرابة، إذ يمكن له أن يفتح نافذة إلى ما هو أوسع من السياسة. «الحدود الفاصلة بين أراضي 1967 وأراضي 1948» جملة لا ينقصها أي شيء لتدخّل في أحد كتب الخيال العلمى التى تتناول فكّرة الترحال عبر الزمن.. وهذه

الآن المنتصر

نهاية القرن التاسع عشر، كان الاستعمار الأوروبيّ في ذروة وعيه لنفسه. في العام 1884 كان جولّ فيري رئيساً لمجلس الوزراء الفرنسي (ووزيراً للفنون الجميلة) حين أشهر تصريحه في عز بهاء الجمهوريّة الفرنسيّة الثالثة: «للأعراق الأسمى أحقيّة على الأعراق الأسفل، وعليهم واجب تمدين من هم أدنى منهم». هذه هي أيديولوجيا الجريمة الاستعمارية بكلمات بسيطةً، ولها علاقة قد تكون غريبة بما حصل في

ولأنها ذروة وعى الأوروبيّ لاستعماره، كانت لنهاية القرن التاسع عشر الحصّة الأهمّ في تطوّر كلّ ما يتعلّق بفكرة الترحال عبر الزمن في الحيّز الأدبيّ. كانت آلات الثورة الصناعيّة تقوى على كلّ شيء، وكانت قدرتها على اختصار الوقت في كل ما يفعله الإنسان تطرح بقوّة أسئلةً عن قدرة الميكانيكيّات على تحدّى الزمن والتغلّب عليه، سياقه نحو المستقبل وإعادة استخدام ما مضى منه. في تلك السنوات، صدرت ثلاث روايات هامّة في هذا المجّال: في العام 1887 أصدر الإستباني ريمياو روآية «El Anacrönópete»، وهي أوّل رواية تعتمد حبكتها على آلة للسفر عبر الوقت. بعدها، في العام 1889 أصدر مارك توين روايته الساخرة «يانكي من كونيتيكت في بلاط الملك آرثر»،

ثم في 1895 صدرت الرواية الأشهر من بين الثلاث، «مٰاكنَّة الوقت» لهربرت جورج ويلس. تشترك هذه الروايات الثلاث في أمور كثيرة، لكنّ الأهمّ من بينها هو اعتمادها على أرضيّة زمنيّة صلبة تبدأ منها الأحداث. لا تبدأ الحبكة من فراغ زمني ولا من احتمالات غير مؤكّدة. مهما كان الترحال في الزّمن

مشاكساً وعنيفاً ومتطرّفاً، فهو يعتمد دائماً على «الآن» المُطلق التأكيد، «الآن» المُنتصر: نقطة ما في التاريخ ثابتة لا إمكانيّة للتشكيك في وجودها، بينماً من المُكن التشكيك في مكوث الشخصيّات في الماضي أو في المستقبل. ينطلقَ مارك توين (ويبدأ) منّ شجارً بين مهندس وعامله في المصنع، أما بطل «الة الزمن» فيبدأ رحلته إلى العام 30 مليون من مائدته المتخمة في ريتشموند نهاية القرن التاسع عشر. لكنّ التعبير الأقوى عن حضور «الآن» المنتصر والمطلق التأكيد في الرواية فهو لريمباو. المجموعة ألتي يبعث بها المؤلف إلى القرن الثلاثين قبل الميلاد، تنطلق من أقوى رمزيات الحاضر في ذلك الزمان: المعرض العالى في باريس 1878، حدثٌ تاريخيّ عملاق احتوى عصارة الحداثة،

احتفل فيه الفرنسيُّون بنهضة الجمهوريّة الثالثة

(وعرضوا فيه رأس تمثال الحريّة). لقد اعتبروا هذه

السنوات حجر الأساس في روايتهم، ومنها انطلقوا اما ليعيدوا كتابة التاريخ وإما ليؤكّدوا سير المستقبل. للمصادفة، في العام 1878 ذاك، شيِّدت أول مستعمرة صهبونيّة على أرضُ فلسطين. تعتمد هذه الأعمال الأدبيّة بالأساس على التوتّر بين

اللحظة الزمنيّة الأكيدة واللحظة الزمنيّة المحتملة. التشكيك في إمكانيّة السفر عبر الوقت حاضر دائماً.

الآلة الصهيونيّة للسفر عبر الزمن الفلسطينيّ

في الخامس من حزيران 1967 سافر الصهاينة عبر الزمّن. اجتازوا الحدود مثبّتين بهذا مكانهم وزمانهم الأوّل ـ 1948 ـ في آن كمُطلق التأكيد، حين هزموا المشروع السياسي المناهض للنكبة ولإقامة كيان سياسيّ صهيونيّ في فلسطين. في تلك اللحظةُ، تحوّل ألكيان القائم على الأراضي المحتلة العام 1948 من «مستعمرة» للأوروبيين، إلى دولة قائمة بحدُ ذاتها، تملك مستعمرة لها خلف حدودها ً «مطلقة التأكيد»، في مناطق تُسمى الضفّة وغزّة والجولان وسيناء. الَّخطُّ الأخضر الذي كان يُسمى خط وقف إطلاق النار أو خطُّ الهدنة، صار حدوداً رسميَّة شرعيَّة تُطالُب

إسرائيل بالعودة إليها كتنازل سياسيّ. لم يعد أحد بذكر أنها حدود «الهدنة» المُعلنة في 1949، وطلّق الاحتلال علاقته بالنكبة، والهدنة تلك صارت قدراً. هزيمة حزيران هي اللحظة التي تحوّلت فيها إسرائيل الى دولة كلاسيكيّة «مُطلقة التأكيد» من منطلق تشبّهها بالاستعمار الكلاسيكي لدولة أوروبيّة طبيعيّة. وصار الشأن شأن انسحاب اسرائيل والتزامها بأن تُتواجد في المكان / الزمان الأصليين ـ الأراضي

المحتلّة العام 1948. فالمطالبة بالانسحاب تعني التسليم بشرعية وجود المُنسحب بالمكان الذي ينسّحب إليه. هكذا تحوّلت القضية الفلسطينية، في الخامس من حزيران 1967، إلى صراع على الحدود بدلًا من أن تكون صراعاً على أصل وجوِّد مشروع عنصري واستعماري في فلسطين يجب أن يُفكك حتّى لو لم يكن لديه مطامع بالسيادة على الأرض والجغرافيا. فالكيان الصهيوني بحسِّد، أولًا وأخيراً، أيديولوجيّة أوروبيّة استعماريّة بمعزل عن كميّة مساحة الأرض التي استولى ويستولى عليها. هنا، يجب علينا استبدآل الفهم المكانى لإسرائيل بالفهم الزمانيّ. علينا الآن أنّ نضع الخرائطُّ والمغرافياً جانباً، ونركّز في لحظة تكوّن كيان سياسي عبر عمليّة

طويلة من بناء المؤسسات – اللحظة التاريخيّة التى تحوّلت فيها الأيديولوجية العنصريّة إلى دولة. اعتبار القضية الفلسطينية قضية النضال لتحرير الأرض من السيطرة الصهيونيّة سيُفضى بنا استرداد الأرض ممن سرقها. إنما اعتبار النضال

وسط خراب العراق وبؤس أهله،

هناك من هم في حال أسوأ:

عمال هنود وبتّغاليون! كيــف

أتوا وكيف يستمرون.. و«بألف

كلمة» بقدم صيف الصومال:

البحر والناس بعدسة مصورة

صومالية شابة.

AS-SAFIR Arabic political daily - June 4, 2015 N° 13085

بالضرورة إلى جدل التنازلات، والنسب المئويّة من المساحات، والانسحابات، وتبادل الأراضي، وتصوّر عسكري منزوع الفكر لهزيمة الصهيونيّة باعتبارها الفلسطيني نضالًا ضد تحوّل العنصريّة، بمفهومها الاستعلائي الاستعماري، لمؤسسة ذات سيادة هو ما محلنا نقرأ النضال الفلسطيني كنضال لتحطيم مُنظومة عمل تنتج عنها سرقة الأرض بشكل حتميّ، كحاحة تعزيز مادى لحس الاستعلاء العنصري عبر السيطرة على الموارد.

الاستعمار ببدأ التاريخ

بسبب الهزيمة، نجح الكيان الصهيونيّ في حصر الجدل حول شرعيّته بحدود المناطق الَّتيُّ احتلَها في العام 1967. ساهم بذلك إبقاء الفلسطينيين في الضفة وغزة من دون مواطئة بينما فرضت المواطنة على فلسطينيي الداخل، ضمّ القدس، استمرار مسلسل الأحداثُ على الجبهة المصرية من حرب الاستنزاف حتى كامت ديفيد مروراً بحرب أكتوبر، الانتفاضة الأولى التي تركّز مُطلق خطابها على الاستقلال الفلسطيني في الضفة وغزّة، وصولًا لاتفاقيّة أوسلو. هذه الأحداثُّ كُلّها أبقت 1967 في مكانة اللحظة الزمنيّة المحتَملة والمتراوحة وغير المؤكدة، بينما مكانة 1948 هو في اللحظة الزمنيّة الأكيدة.. النكبة التي لا يمكن نفيهاً. واعتماداً على هذا التوتّر، صاغ الإسرائيليّون روايتهم، ومن هذه النقطة هم يفعلون ما يفعله المسافرون في الزمن: يكتبون التاريخ الذي يريدونه، ويفرضون سطوتهم على احتمالات المستقبل.

قوّة الاستعمار الاستيطاني تكمن في أن يختار النقطة الزمنيّة التي يبدأ منها التاريّخ. من هنا تبدأ الحقيقة. ومن هذه النقطة يبدأ القانون بتطبيق نفسه. ففي إسرائيل، خلافاً لأنظمة فاشيّة أخرى، انتهى التحريض الشعبوي العنصريّ إلى قوانين نظام سياسيّ فاشيّ، وقوانينّ النظام السَّياسيُّ الفَاشيَ تُحولت إلى إبادة جُمَّاعيَّة وتطهير عرقيّ. أما في فلسطين فقد أتت القوانين والنظم الإداريَّة لتثبّت حالةً من التطهير العرقيّ بشكل لا يعود فيه التاريخ إلى الوراء، وكان العام 1967 هو نقطّة التحوّل في تثبيت إسرائيل كدولة تسمح لنفسها بأن تناقش احتلالها. تتحرر من القلق على أسباب وجودها، فتتمكن من التناقش في داخلها على الامتيازات الزائدة كالاستيطان في غزّة أو سيناء مثلًا. أما الاستنطان في بافا فقد انتهى النقاُّش حوله إلى غير رجعة. هذه اللحظة التي ولدت فيها، إضافةً إلى تكوّن العنصريّة كنظام سلطةً، قدرة الإنسان الإسرائيلي على أن يتحرر من كونه فرداً من مجتمع مستعمر، وأن يُنشئ نقاشاً بين أطياف الوجود الاستعماري ليس على جوهر امتيازاته إنما على حدودها. أما نحن فورطتنا هزيمة حزيران بالأسئلة المتعلقة بالأرض كمساحة وليس كمادة للفعل الإنسانيّ، وأودت بنا إلى استجداء نصف دولة على عُشْر وطن، متفاعلين بهذا مع العدو في نقاشه حول الحدود الجغرافية لامتيازاته، بدلًا من صراعه على جوهر امتيازاته العنصريّة.

كاتب فلسطيني من حيفا

محد كيال

منهاج تسلية الشعب الأمنى

تحتل أخبار الكوميديا الرمضانية الصفحات الأولى للصحف المغربية، وتشغل مواقع التواصل الاجتماعي. وهي ميزان لقياس مزاج واهتمامات الشعب حاليا. وهذا النص عن المتفرجين وليس عما يجري على الشاشـة.

لقد رجع رئيس الـوزراء عبد الإله بنكيران من منتدى دافوس البحر الليت، وقال لأعضاء حربه إن الزعماء الأجانب يتعجبون من «استقرار وأمن المغرب وغياب الإرهاب والمؤشرات الاقتصادية الإيجابية المرتفعة».

تقول التقارير الاقتصادية إن المغرب يتوفر على ثاني أحسن بنية تحتية في أفريقيا، وان مستوى الاستثمارات الأجنبية المباشرة ارتفع بنسبة 12.2 في المئة. أسعار الفوسفات ترتفع، ويقول بنك المغرب إن احتياطي العملة الصعبة ارتفع 17.2 في المئة هذا العام. ويتوقع وزير الفلاحة إنتاج 110 ملايين قنطار من الحبوب في العام الحالي. ومن جهتها، توقعت المجلة البريطانية الإيكونوميست أن يحقق المغرب معدل نمو اقتصادي في حدود 4.2 لغاية سنة 2020. وأخيرا جلبت جنيفير لوبيز مئة وستين ألف شخص إلى حفل رقصها

النقود لا تكذب، الأرقام لا تكذب. هل استفاد كل المغاربة من هذا الخير بالتساوى؟ لا.

المهم.. عين الملك مدير المخابرات مديرا للشرطة، جمع الرجل المنْصبين ليراقب ويضرب. ثم لا أحد مسلح في المغرب. ممنوع حمل السلاح قولا وفعلا. والمغرب محمى من جنوبه وشرقه بفضل جدار يمتد على طول 2500 كلم، والحدود مع الجزائر مغلقة. من الغرب هناك المحيط الأطلسي على طول 3000 كلم، وفي الشمال هناك المتوسط على طول 500 كلم. فمن أين سيأتي الشر إذاً؟

مع هذه النِعم يحق لي الحديث عن الفن، وبالضبط عن ذوق

حين عُرضت كوميديا رمضان الماضي، قال الصحافيون والشعراء والكتاب: هذه كوميديا تافهة ساذجة تستغبى الناس ولا تقدم لهم شيئا وهي نمطية فيها الكثير من التكرار. هكذا تحاول النخبة فرض معاييرها على الشعب. تقرر له ما يستحق المشاهدة وما لا يستحق. عادة يكره المثقفون التلفزيون، وهم يعتبرونه نقيض الكتاب. لكن الكتاب بالأبيض والأسود بينما التلفزيون يفيض فرجة وألوانا. والمثقفون الذين

لا يظهرون في التلفزيون لا يحوزون شهرة وشرعية. الجديد أن برنامجا إذاعيا في قناة البحر الأبيض المتوسط

التي تبث من طنجة استضاف مؤخرا مخرج هذه الكوميديا، هشّام العسرى، فقال: «هذه كوميديا رمضانية موجهة للأميين من الشعب، وهي كوميديا بدون أطروحة، بدون موضوع موحد ولا تحمل أية قضية.. وحتى لو وضعت فيها قضية ما فسأتعب نفسي، لأن مقص الرقيب سيحذفها.. في التلفزة لا يمكن أن نتحدث عن أي شيء، هناك ممنوعات كثيرة.. وأنا لا . أشاهد ما أصوره للتلفزيون».

هكذا رد المخرج على النقد الذي وجه له. تَفضَّل بتسمية الأشياء بأسمائها عن كوميديا ترفع شعار «الفائدة في التكرار». وهذا النوع منتشر بقوة بين المحيط والخليج، ففي السعودية وجيرانها، نجحت سلسلة «طاش ما طاش»، وفي مصر نجح «الكبير أوي»، ويمكن مشاهدة حلقة المزاريطة حيث يقلد الصعيدي مايكل جاكسون. وفي تونس نجحت سلسلة «نسيبتي العزيزة»، وفيها إبراز شديد لبلاهة النساء، وقد حققت السلسلة ملايين المشاهدات على يوتيوب. وفي المغرب هناك سلسلة «الكوبل» لحسن الفذ و«كنزة في الدوار» هشام العسري (أي في البادية). الفذ مثقف ويتصّنع الغباء والأمية والفقر ويرتدي ملابس ذات ألوان متضاربة ليطابق تصور متفرجيه للإنسان الغربي. هذه شعبوية وديماغوجيا فنية، وفي المغرب الكثير من

الشعبوية السياسية أشهرها حين لام برلماني الحكومة التي تملك دار سك النقود ومع ذلك لا تطبع ما يكفّى منها للشعب. وقد صفق الناس للبرلماني الأمي. مع الأسف لا يحتاج المشهد السياسي الى سياسيين مثقفين ومستقلين. وكذلك المشهد

ميزّة هشام العسرى أنه كشف وعيه بأنه مخرج بوجهين، وجه للشعب ووجه للنخبة. فهو حين يخرج أفلامه السينمائية يحرص على رفع المستوى والتعبير بالصور العميقة كما في فيلمه «هُم الكلاب». لكنه حين يخرج الكوميديا الرمضانية للعامة يقول «لا استطيع أن أكون جديا لأن إدارة التلفزيون لا تقبل الحدية».

هنا أيضا لا نناقش المخرج بل طبيعة الذين يعتبرون أنفسهم نخبة: انتقدوه حين أخرجها لأنها تافهة. وقرروا أن يفترسوه حين قال إنها تافهة. اتهموه باحتقار الشعب وهذه جنحة لا

يتهمونه بتقديم تسلية تفترض أن الجمهور غبي. وحين تنجح التسلية يرفضون أن تصير المسلمة بديهية. يرجع ذلك إلى رفض المعلقين تقسيم الشعب إلى نخبة وعامة، بل

يريدون المساواة بين كل أفراد الشعب في كتلة واحدة. في إدارة التلفزيون يعرفون أن هذا مستحيل ويركزون على الأغلبية التي تستهلك ما يقدم لها بفرح. الدليل: تعلن القنوات بفرح عن نسبة التابعة كدليل على

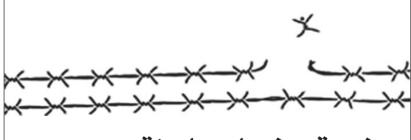
جودة ما يعرض. حاليا تُعتبر نسبة المشاهدة معيارا لا يُدحض للنجاح. ينجح ما يطابق ذوق المتفرج، والأرقام لا تكذب. يزعم الفنانون أن هذا ينطبق على الاقتصاد ولا يمكن تفسير عدد مشاهدات يوتيوب كدليل على الجودة الفنية. وهناك أرقام أخرى تؤكد الحاجة إلى كوميديا الغباء، فالتلفزيون يخصص لها ملايين الـدولارات. والعائد الإعلاني مضمون. وبذلك، فالقرارات التى تتخذها إدارة التلفزيون مبررة باسم الاقتصاد الذي لا يُدحض. وعادة ما تكون للكوميديا الناجحة امتدادات اجتماعية. فمثلا صار اسم سلسلة «الكوبل» يستخدم في المجال السياسي، ويستخدم الأفراد تعابيره المسكوكة للسخرية بعضهم من بعض. وكل هذا من منافع الكوميديا من وجهة نظر الشعب.

وتستخدم تلك التعابير المسكوكة في الوصلات الإعلانية أيضا، ويحصل نجوم كوميديا رمضان على الملايين من إعلانات شركات الاتصال التي تلعن الصمت وتبيع الكلام بالذهب. الأرقام لا تكذب. النقود لا تكذب، إذاً فالتلفزيون يعرف الشعب. والنخبة هي الغبية لأنها لا تعرف الشعب الذي تزعم النضال لمصلحته، لذًّا فهو يصدم توقعاتها كل مرة.

المساواة مبدأ وحق وليست حقيقة قائمة. السوسيولوجي البصاص معنى بما يجري لا بما ينبغى أن يكون. كل من يخلط بين الأمرين تصدمه الوقائع يومياً. وقد أقيل وزير العمل المصري لأنه قال إنه لم ير ابن حمّال قاضيا. لو قال إن من حق ابن الحمال أن يصير قاضيا لصفقوا له.

الناس متساوون نظريا فقط. ممنوع الخلط بين الإيمان بالمساواة والاعتقاد بتحققها. الحقيقة الوحيدة على الأرض هي اللامساواة في الأكل والسكن والقدرة على الفهم واستهلاك الفن. إن العمل العضلي وانتظار الأوتوبيس ساعات طويلة والجوع وانعدام وقت الفراغ عوامل لا تساعد على الفهم. والتلفزيون يقدم للناس تسلية على قدر فهمهم. إذاً فالتلفزيون يعرف الشعب والشعب يعرف التلفزيون.

محمد بنعزيز كاتب وسينمائي من المغرب



هزيمة حزيران راهنة

لسنا بصدد تذكّر استعادي لهزيمة 1967 التي حُسمت الأيام الجدل حول ما إذا كانت مجرد «نكسة» سيتم تجاوزها. مذاك، عشنا تدهورا لم يتوقف أبداً. وقد وُظِّفت حرب 1973 والتمكن من «العبور» لعقد اتفاقية كامب دافيد 1978، وقبلها بعام ليزور السادات القدس ويخطب أمام الكنيست، وهما ما جسد التخلي الرمزي والعملي عما كان الجواب المتولد حيال نكبة 1948، ما أدى الى الإخلال العميّق بالبنيّة السياسية والعسكرية والفكرية والثقافية للمنطقة، الذي دفعنا أثمانه وما زلنا حتى اليوم. وقد تكشفت وقائع تلك الأحداث عن مفاوضات سرية بين مصر وإسرائيل، لم تكن «منفردة» كما يُزعم بنفاق، بل واكبتها بصورة مستمرة السعودية ورعاها مباشرة ملك المغرب آنذاك.

وبخروج مصر الطوعى مما كان إطارا عربيا للوجود، وهي البلد الأكبر والأكثر رسوخا واستقراراً، وكذلُّك والأهم، البلد الذي قاد ذاك الجواب على النكبة.. فُتح المحالُ أمام الاضمحلال المضطرد لوزن ذلك الإطار وتحوّله إلى رابط شكلي يمكن الاستغناء عنه، بل والى انحطاط كاريكاتوري في هيئته الرسمية، أي الجاَّمِعة العربية، كما شهدنا في السنوات الأخيرة. الاستهوان جعل بإمكان من يطمح بالسطوة على المنطقة أو على أُجزاء منها أن يفعل، فترانا اليوم متنازعين بين مشروعين امبراطوريين يحيطان بنا، وترانا اليوم استُبحنا من الاميركان لدرجة احتلالهم العراق بأمه وأبيه، هذا عدا المفوضين السامين هنا وهناك.

لم يكن الخيار السياسي ذاك الذي أعقب هزيمة 1967 معزولًا، يتعلق فحسب بالنظرة إلى الصراع مع إُسرائيل والمسألة الفلسطينية، بل مَثِّل نهجاً متكاملًا جرى التعبير عنه في «الإنفتاح» الاقتصادي الذي دعا اليه وتبناه وطبّقه السادات ثم الذين خلفوه حتى اليوم: تخل عن كل طموح بتحقيق شيء من العدالة الاجتماعية، ونكوص عن التعليم والطبابة العَّامين، والإصلاح الزراعي، وتَخل عن خطط التقدم في الإنتاج والإكتفاء الغذائي وبناء المؤسسات.. على كل ما كانَ في هذا الطور من المشروع النهضوي من عيوب كبرى وخطيرة، أدت أصلا إلى التمكن من هزيمته بيسر.

وهكذا شاع رويدا بؤس متعاظم لا يبدو اليوم أن له قرارا. ويأس مكين. وانفجرت بلا خجل حروب عربية بينية وأخرى أهلية. وترافق كل ذلك مع سطوة الأفكار الأكثر رجعية وانحطاطاً.

.. بالتأكيد لم يهبط داعش وأقرانه من الفضاء.

نهلة الشهال

4 حزيران 2015 _ العيدد 13085 Thursday June 4, 2015



12 مليوناً هم سكان جنوب السودان الذين يعاني نصفهم من فقر يصل الى مستويات المجاعة في بعض المناطق، وذلك بعد 4 سنُّوات من استقلال البلاد، تخللتها حروب أهلية طاحنة، وأزمات مع دولة السودان، ما تسبب بانخفاض عائدات النفط التي يعتمد عليها بنسبة 90 في المئة اقتصاد البلد.

«الحوار المجتمعي» هو الإصطلاح الذهبي الذي يصلح أن يكون عنواناً لكل إجراء اقتصادي، خاصة إذا كان تقشفياً. تُعتزم الحكومة المصرية الإقدام عليه. المصطلح يشير الى سلسلة من اللقاءات وورش العمل تعقد مع ممثلين لجهات تمثل بدورها قوى اجتماعية متباينة، يفترض تبعاً للمنطق انها تملك

> ولكن الأمر خلاف ذلك تماماً، الى الحد الذي يبدو معه بجلاء ان الحكومة تستفتي فقط رأي هوَّلاء القادرين على توجيه دفة الأمور، أي الستثمرين، بينما تعتبر أنه لا رد فعل محتملًا لأي طرف آخر، كممثلي العاملين بّأجر او المستهلكين (بحسب

> > من تجرى محاورته؟

الحكومة ما زالت الى الآن، وقبل نحو شهر فقط من بدء العام المالي الجديد، لم تطرح لهذا لحوار العام البيان المالى للموازنة العامة ـ الذي يعد وثيقة مقترحة يفترّض ان يجري اعتمادها منّ قبل مجلس الوزراء او تعديلها ثم إحالتها لرئيس الجمهورية لىعتمدها او يعدلها ثم يقرها.. من دون ان يعرف الجمهور لماذا وافق عليها او لماذا عدلها في غيبة

> توجه من هذا القبيل من المحتمل ان يزيد طين سياسات التقشف بلة، والذي يعني في المقام الاول تخفيض عجز اللوازنة الى اقل معدل ممكن لضمان تحصيل المستحقات لدى الحكومة في العقود الموقعة معها. ولعل ابرز مثال على ما سبق هو «الحوار المجتمعي» حول مشروع قانون الضريبة على القيمة المضافة. فخطاب وزارة المالية (في ترويجها لهذا القانون) يعتمد في الاساس على أن إقراره سيمر عبر «الحوار المجتمعي». لكن هذا الحوار يقتصر فعلياً على وزارة المالية ومصلحة الضرائب من ناحية، واتحاد الصناعات والاتحاد العام للغرف التجارية وجمعية الضرائب المصرية، في غيبة اي نقاش مع ممثلي جميعات حماية المُستهلك مثلا، او المجتمع اللدني، حول قانون يمس ملايين المستهلكين ولا يلُّعب في تطبيقه المستثمرون والتجار الا دور محصل الضريبة.

> > ضريبة موحدة على السلع

وتروِّج وزارة المالية للقانون الجديد باعتباره يحقق العدالة الاجتماعية، فقط لأنه يخفض فترة ما يسمى ب «رد الضريبة» -ويشير االمصطلح إلى رد الضريبة على السلع والخدمات للمستثمرين في حالات بعينها بعد تسديدها للحكومة ـ لأنها بذلك تكون قد استجابت

لمُطلب «جمهورها» الذي تخاطبه حصرياً.

ويتضمن القانون تقلّيصاً لفترة الرد الضريبي التي ستنخفض من ثلاثة اشهر في قانون الضريبة على المبيعات الحالى ـ الذي سيلغى – آلى ستة أسابيع، وفي حالة السداد الآلكتروني للضريبة سيكون الرد أسرع. وفي المقابل سيتحمل ملايين المستهلكين (من دون أن يحق لهم القبول او الرفض) زيادة وطأة الضرائب غير المباشرة ـ وغير العادلة بالتعريف ـ بسبب ما يتضمنه القانون الجديد من إخضاع كل السلع والخدمات للضريبة، قياساً مع الوضع الحالى الذي يفرض الضريبة على استهلاك السلع المصنعة فقط من دون المواد الأولية والخدمات. ويفترض وزير المالية أن تطبيق الضريبة الجديدة سيؤدي الى زيادة في التضخم بمعدل 2.5 الى 3.5 في المئة. وفي حين يصعب التحقق من صحة تقدير وزير المالية لحجم التضخم الناجم عن تطبيق الضريبة من مصدر مستقل، فالثابت ان ما يزعمه من ان الفقراء سيكونون الأقل تضرراً من الضريبة مخالف تماماً لأي منطق. فالقانون الجديد يفرض ضريبة بنسبة موحدة على كل السلع والخدمات. وتتكتم وزارة المالية على قيمة الضريبة المقترحة، لكن التسريبات تشير الى احتمال اعتماد سعر موحد للضريبة، وهو امر يعني عملياً ارتفاع الضريبة على عدد من السلع وانخفاضها عن سلع أخرى، إذ

عندما تأمن الحكومة المصرية جانب الثورة

لُضريبة سلع أُخرى بلُّ 45 في المئة سعراً لضريبة عدَّد محدوَّد من السلَّع التَرَفيَّة للغاية. ● سترتفع اذاً الضريبة بواقّع 10 في المئة على السلع التي تخضع لضريبة بواقع 5 في المئة والتي تشمل السلع الواردة بالجدول رقم (أ) المرافق للقانون الحالي مثل البن ومنتجات الدقيق والحلوى من عجين (عدا وجهات نظر مختلفة، ان لم تكن متناقضة، بحسب طبيعة المصلحة الاجتماعية التي تمثلها. الخبز المسعِّر) والصابون والمنظفات الصناعية والأسمَّدة والمبيدات الحشرية. ● بينما ستنخفض الضريبة بواقع 10 في المئة على عدد من السلع المرتبطة باستهلاك شريحة

اعلى من اصحاب الدخل، والتَّى تشمل بعض السلع العمرة مثل أجهزة التلفُّرْيون الملون أكثر من 16 بوصة، والثلاجات ذات السعة أكثر من 12 قدماً، والحلدات وأجهزة التسجيل وإذاعة الصوت وأجهزة الفيديو ومستحضرات التجميل وشرائط الفيديو، ومستحضرات العطور أو التجميل ومنتَّجات مُعدَّة للعناية بالجلد أو الشعر، الثريات وأجزائها، سيارات الركوب التي سعة السلندر فيها أكثر من 1600 سم مكعب أو ذات المحركات الدوارة، سيارات نقل البضائع والأشخاص معاً، سيارات الجيب وسيارات رحلات ومعسكرات مجهزة للمعيشة، مقطورات مجهزة للرحلات.

يتضمن القانون الحالي 10 في المئة سعراً عاماً للضريبة و5 في المئة سعراً لعدد من السلع و25 في المئة سعراً

• كما يُفترض ان تنخفض الضريبة بواقع 35 في المئة على السيارات الفارهة التي تخضّع حالياً لسعر ضريبة يصل الى 45

• كما يفترض ان تشهد المواد الأولية ارتفاعاً بواقع 15 في المئة لأن القانون الجديد يخضع المواد الاولية للضريبة، بعكس القانون الحالي الذي يقتصر نطاقه على السلع المصنعة.

التجربة في مصر ما زالت وليدة، لكن استعراضها في بريطانيا مثلا يشير الى تحمل الطبقات الأفقر لعبء الضريبة. ففي العام 2007-2008 ووفقاً لبيانات مؤسَّسة الدراسات المالية، وهي مؤسسة مستقلة، بلغت نسبة العبء الضريبي الى دخل أفقر شريحة من الأسر (تمثل أفقر 20 في المئة من السكان) ما يقرب من 20 في المئة، بينما بلغت النسبة في أعلى شريحة من الأسر من حيث الدخل اقل من 10 في المئة. وفي المقابل، تسوق الحكومة البريطانية مبررات لافتة للنظر من قبيل ان ضريبة القيمة المضافة تبدو «رجعية regressive» عند النظر لها بمعيار الدخل، اما لجهة الإنفاق فيمكن النظر اليها باعتبارها ضريبة تقدمية progressive. وهذا الطرح رجعي في حد ذاته لأنه يعتمد في جوهره على وجهة نظر مفادها ان الحل في

التخلص من أعباء الضّريبة هو تخفيض الاستهلاك وهو ما يعانر منه الفقراء بالفعل. التجربة البريطانية هذه دليل على ان السياسات الضريبية إجمالا لا ترتبط بالمقام الاول بمفاهيم الكفاءة في التحصيل او الصياغة القانونية المحكمة وإنما بالانحياز الاجتماعي.

الانحياز الاجتماعي

.. الإنحياز الاجتماعي للنظام السياسي الحالي لا يحتاج لكثير من التفصيل. لكن ما يستدعي النظر حقاً هو انه لا يخشى جانب القوى الاجتماعية المتضررة في ظل قدرة غير مسبوقة على استخدام السلطة القمع في من رد الفعل الشعبى الاحتجاجي.. بالضبط كما اقدمت في تموز/ يوليو من العام الماضي على تمرير أول خفض في موازنة دعم الطاّقة، متفاخرةً بإنفاذ الإجراء الذي لطالما خشيت من عواقبه الحكومات السابقة المتعاقبة.

بيسان كساب كاتبة صحافية من مصر، متخصصة بالاقتصاد

كيف تكون سائحاً في سوريا؟

أقلّ من 15 يوماً فصلت بين تصريحين مرّا سريعاً في نشرات الأخبار والمواقع الإخبارية. الأوّل هو تصريح معاون وزير السياحة السوري، يقول إن بلاده استعادت 30 في المئة من خسائرها السياحية، وذلك بفضل التوجّه نحو السياحة الداخلية في المناطق الآمنة، وإقامة المشاريع المتوسطة والصغيرة، خاصة في المحافظات.

الثانى هو تصريح منسقة الشؤون الإنسانية لحالات الطوارئ في مجلس الأمن التي خرجت الأسبوع الماضي رافعةً صوتها بأن أزمة إنسانية عميقة واقعة في سوريا وليس هناك من يسمع. وممّا قالته السيدة «لقد شـاّهدتُ بحكم منصبي أسوأ ما يمكن لبشر أن يقوم به»، وأنّه «منذ شباط/فبراير الماضي تضاعف عدد المحاصرين ليصل إلى 422 ألف شخص، والقيود المفروضة على وصول المساعدات ما زالت قائمة».

على موقع وزارة السياحة السورية، الدنيا ربيع. كلّ شيء على حاله، ولا كأنّ غيمة مرّت فوق البلاد. في آخر أخبار موقع الوزارة: «تمديد فترة تقديم العروض لاستثمار مواقع الشواطئ نظراً للإقبال الشديد من السادة المستثمرين»، ومعلومات عن الندوة الفكرية التي أقيمت في ايطاليا نيسان /أبريل الماضي ضمن يوم السياحةُ السوري (بعنوان «حرية أو إرهاب»)...

وبعيداً عن البدائية التي تطبع الموقع والنقص في تحديث أخباره، فما يلفت هي القدرة على الاستمرار ببثه أخباره الصغيرة بينما البلاد داخلة في حرب لا أفق لها. وكذلك الإبقاء على خاناته المقدّمة للقارئ عن سياحة دينية وأخرى علاجية. وهذا ربما تشرحه الورقة التى أعدتها وزارة السياحة والتى أدرجتها على الموقع بعنوان «أهم أولويات عمل وزارة السياحة في المرحلة القادمة»، تحدد أن جهود الوزارة في المرحلة المقبلة ستتركّز على «تنشيط أنواع المنتجات السياحية كافة، وتشجيع السياحة الداخلية والدينية..»، مشيرةً إلى أنَّه من نقاط القوة البدء بتبسيط إجراءات ترخيص المشاريع السياحية.. يضاف إليه إعلان عن استثمار مواقع الشواطئ، أي خصخصتها وفتحها باباً للاستفادة، بالكوميسون وبالمضاربة العقارية على حد سواء، وهو بيت القصيد من خلف كل الكلام المنمق، والذي لولا ذلك لكان جنوناً خالصاً. وهذا «نشاط» يحدث حتى في أعتى مناطق الاشتباكات، كتلك التي تخص الدائرة المحيطة بدمشَّق، فكيف إذا تعلق بالساحل الذَّى يهرب إليه السوريون؟ وهكذا تكون الاستفادة مزدوجة: تلميحاً إعلامياً ودعائياً إلى أمان وازدهار المناطق التابعة لسلطة النظام السوري، وبزنس. وفي مقابل الـ30 في المئة الخاصة بوزارة السياحة السورية، تقف أرقام على الخطّ «السياحي» الماكس: أعداد اللاجئين السوريين إلى خارج البلاد وصلت الى 4 ملايين لاجئ، وفق تصريح المفوض السامي لشؤون اللاجئين في آذار /مارس الماضى بينما هم 7.6 ملايين نازح داخل البلد. وهناك أكثر من 220 أَلفَ قتيل سقطوا منذ اليوم الأول لبدء الحراك السوري. لا جديد. هذه الأرقام معروفة ومحفوظة ومكرّرة، لكن لا بُدّ من استعادتها مقابل تلك الأرقام عن الازدهار السياحي الذي عوض الخسارة، ومقابل تصريح على هذا القدر من البلاهة

زينب ترحيني

«العدالة الاجتماعية والانتفاضات العربية»

الطموح إلى المساواة السياسية والكرامة

على الرغم من الاهتمام بأمر المساواة أمام القانون، فإنَّ عدداً قليلًا نسبياً من مواطني المنطقة هو الذي يقول إن أهم سمة من سمات الديمقراطية هي المساواة في الحقوق السياسية بين المواطنين. وما من بلد تعدّت فيه نسبة الذين يفهمون الديمقراطية على هذا النحو خمس السكان. وبالمقابل، يرى ضعف هذه النسبة في معظم البلدان أَنُّ الميزة الأساسية للديمقراطية هي توفير العناصر الأساسية لكل فرد.

الفلسطينيون واللبنانيون هم الأميل إلى القول إنّ الديمقراطية تدور في المقام الأول حول المساواة السياسية بين المواطنين، حيث جاءت النسبة 17 في المئة و16 في المئة على التوالي. ويشاطر هذاً الرأي 13 في المئة في الجزائر، وبين 8 و10 في النَّه في جميع البلدان الأخرى.

في معظم البلدان، يقف المستطلعون على قدم المساواة في النظر إلى الديمقراطية من حيث المساواة في الحقوق السياسية بين المواطنين، وذلك بلا تمييز في السن. غير أنّ هذا النمط يغيب في مصر وتونس. ففي الاخيرتين، يميل المواطنون ممن هم في الخمسين من العمر فما فوق إلى رؤية الديمقراطية على هذا النحو مقارنة مع الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و29 عاما. وعلى العموم، فإنَّ الذين تظاهروا في الربيع العربي أقل ميلًا بعض الشيء إلى الْقول إنَّ الديمقراطية تدور حول المساواة في الحقوق السياسية. ففي تونس، كان المحتجون أقل ميلًا إلى هذا الرأى بـ 10 نقاط، في حين نجد الفجوة ذاتها في الأردن (9–) والمغرب (–8). مع ذلك، تشير نتائج الباروميتر العربي إلى أن تعريف الديمقراطية من حيث الحقوق السياسية هو اتجاه متنام في جميع أنحاء المنطقة. على سبيل المثال، كان الفلسطينيون الذين أشاروا إلى المساواة في

عام 2012 أعلى بـ 14 نقطة منهم في عام

90 60 50 40 30 20 10 22% 20% 61% مصر تونس اليمن الجزائر فلسطين الأردن لبنان

نسب القائلين إنّهم قادرون على التأثير في سياسات الحكومة

2006. ونجد الزيادة نفسها في الجزائر (11+نقطة)، ولبنان (10+) والأردن (8+). الكرامة الإنسانية

تتوقف العدالة الاجتماعية أيضاً على قدرة المواطنين على التأثير على حكوماتهم وانتزاع تغييرات إيجابية. ولم تشمل الدورة الثالثة من الباروميتر العربي أسئلة حول نوعية الحكم، لكن الدورتين الأولى والثانية تفسحان المجال لمقارنة المواقف من الحكم قبل الربيع العربي وعند بدايته.

الحاكم والمحكوم هو ما إذا كان المواطنون يشعرون بأن لديهم القدرة على التأثير في سياسات الحكومة. وعلى الرغم من عيشهم في ظل حكم سلطوي مديد في زمن اجراء المسوح (2010–2011)، يعتقد معظم المواطنين في المنطقة أنهم يمكن أن يؤثروا في سياسات الحكومة. لكن هناك أيضاً فجوّة كبيرة بين البلدان التي شهدت ثورات ناجحة وتلك التي لم تشهد مثل هذه الثورات. ففي البلدان الثلاثة التي تغيرت

ثمة سؤال أساسي في تحليل العلاقة بين

الاردن اليمن المغرب مصر فلسطين

نسب القائلين إنَّ أهم سمة من سمات الديمقراطية هي المساواة في الحقوق السياسية بين المواطنين

فيها القيادة نتيجة الانتفاضات العربية،

تعتقد أغلبية واضحة من المواطنين أنهم

يمكن أن يؤثروا على سياسات الحكومة.

ويقول تسعة أعشار المصريين تقريباً (88

في المئة) إن لديهم مثل هذه القدرة، وكذلك

73 في المئة من التونسيين و61 في المئة من

المواطنين الذين يعيشون في البلدان التي

لم تشهد تغييرات جذرية هم الذين

يقولون إنهم يمكن أن يؤثروا في سياسات

في الوقت نفسه، فإنَّ عـدداً أقـلٌ من

اليمنيين.

الحكومة. وفي هذه البلدان، فإنّ الجزائريين (55 في المئة) هم الأميل إلى القول إنهم يمكن أن يؤثروا في سياسات الحكومة، يليهم الفلسطينيون (52 في المئة) فالأردنيون (50 في المئة). أما في لبنان، فإنّ أقلّ من نصف المواطنين (40 في المئة) يعتقدون أن لديهم هذه القدرة.

في جميع البلدان التي تتوافر عنها بيانات الدورتين الأولى والثانية، ما عدا بلدين، لا نجد تغيراً مهماً في الاعتقاد بالقدرة على التأثير على سياسة الحكومة بمرور الزمن.

التي أسفرت عن سيطرة حماس على غزة وسيطرة فتح على الضفة الغربية. وفي كلتا الحالتين، كأن هناك انخفاض تدريجي في الحريات السياسية والمدنية. الاستثناء الثاني هو الجزائر حيث زاد بمقدار 8 نقاط عدد الذين يقولون إنهم يمكن أن يؤثروا في السياسات الحكومية في الدورة الثانية مقارنة مع الدورة الأولى. وتُعزى هذه الزيادة على الأرجح إلى حقيقة أن الدورة الثانية جرت في نيسان/ابريل 2011 في وقت كان النظام يقترح إصلاحات هامة منَّ شأنها لبرلة القواعد الفروضة على جماعات المعارضة والصحافة والمجتمع المدنى في أعقاب الربيع العربي. ويبدو أنه

الاستثناء الرئيس هو فلسطين، حيث نجد

انخفاضاً مقداره عشرون نقطة من عام 2006 إلى عام 2010. والأرجح أنّ هذا الاختلاف

يرجع إلى حقيقة أن مسح الدورة الأولى

جرى بعد مرور بضعة أشهر على الانتخابات

البرلمانية في عام 2006 التي اعتبرها مراقبون

دوليون حرّة ونزيهة، في حين جري مسح

العام 2010 بعد الحرب آلأهلية الفلسطينية

كان لعملية اللبرلة السياسية هذه ـ المراد لها أن تتلافى الدعوات إلى تغييرات أكبر-أثرها المطلوب المتمثّل في دفع المواطنين إلى مزيد من الاعتقاد أنَّ بمقدّورهم أن يؤثروا في سياسة الحكومة. ● تشارك في البحث كلُّ من أماني جمَّال

من جامعة برنستون ومايكل روبنز من «الباروميتر العربيّ»، وأصدره «برنامج العدالة الإجتماعيّة وسيّاسات التنميّة» في معهد عصام فارس للسياسات العامّة والشؤون الدوليّة في الجامعة الأميركيّة في بيروت، بالتّعاون مع مركز ممدوحة س. بوبست للسلام والعدالة في جامعة برنستون، بتمويل من مؤسسة إلـر وممدوحة بوبست في نيويورك. هنا الجزء الخامس.

4 حزيران 2015 ـ العسدد 13085 Thursday June 4, 2015

4.5 ملايين سعودي يستعدّون للسفر إلى الخارج في فصل الصيف، من المتوقّع أن يصرفوا أكثر من 80 مليار ريال (21.3 مليار دولار) خلال تجوالهم في أنحاء العالم، وهذا يجعلهم الأعلى إنفاقا على مستوى العالم هذا العام. وحسب تقرّير لمنظمة السياحة العالمية، سيزداد إنفاق السعوديين على السياحة في 2015 بنسبة 5 في المئة.

عن الهويات والتطبيع في مشروع موسيقي إسرائيلي

مشروع غنائى فكر فيه الموسيقى الإسرائيلي يوفال بن عامى، وكتبه على مدار 15 حلقة في موقع «سيحاه مكوميتّ»، أخذتْ عنوان «يوميات لورّد في إسرائيل فلسطين»، حملتنا في رحلة كبيرة في الوعي الإسرائيلي، يخرج فيها اليهودي الإشكنازي من تل أبيب ليتجوّل في أنحاء فلسطين للبحث عن شريكة

كانت الفكرة هي ترجمة أغاني مغنية الهيب هوب النيوزلندية «لـورد» للعبرية والعربية معاً، وتطويعها لتوجُّه ضد الاحتلال والتعصب في إسرائيل. يوفال بن عامى يساري إشكنازي إسرائيلي. يرى العنصرية ضد الفلسطينيين شبيهة بالعنصرية التي تعرض لها أبواه في أوروبا الثلاثينيات. يفكر في 1967 أكثر من 1948، ولا يسائل الصهيونية في نصه، فقط يفكر في احتمالات الشراكةَ بين الشعبين، القامع والمقموع. ومن هنا فالنص الذي يحكى عن مشروع موسيقي مُهدى لمغنية نيوزلندية، هو نص عنَّ فكرة التطبيع بالأساس، ولكنه أيضاً عن صراع الهويات، عن الأرض والجندر.

تبدأ الرحلة في مقمى بتل أبيب، وهي المدينة المعروفة ب «الفقاعة» بسبب عزلتها عما يجرى حولها، وفي جلسة ضمت أربعة إشكنازيين آتين من قلب الهوية الإسرائيلية الركزية، يقترحون مشروعاً مشتركاً لغناء أغانى «لورد» بالعربية والعبرية. في البداية يترجم يوفال أغنية «تيم» . للورد، ولكن مطوّعاً حّلماتها لتصبح عن الوضع الحالي في فلسُطين اليوم: «كالأطفال مسبقاً يحبسوننا / في أقَّنيةً معزولة يفصلوننا / سنقيم قصراً من خرائب الأكاذيب / وسنعرف أننا أصدقاء / لا سبب لأن أصدق أن جاري شيطان / إذن كفاية».

لكن يوفال يسأل نفسه: «هل نحن أصدقاء فعلاً؟ هل سنتمكن من أن نكون أصدقاء؟ أمر واحد لا يمكن الجدال فيه، أننا معزولون جيداً. كبرت في حي يهودي بالقدس الشرقية، مستوطنة بالأحرى، أقيمت بعد 1967 على رض محتلة. من حولى سكن آلاف الفلسطينيين، ومن بينهم سكان مخيم لاجئون، ومع هذا فلم ألتق أبداً بأى عربى من هذا البلد حتى خرجتُ للتجول بأوروبا وأنا في العشر بنيات».

هدهد عربی

من أجل ترجمة الأغانى الى العربية يلتقى يوفال بحنين مجدلي، مدرِّسة يافاوية يصفها بأنها «نشطة من أجل دولة ثنائية القومية، شابة جريئة، تستمتع بعرض رؤيتها على أوساط الفيسبوك العبرية المعادية.. هذه الشجاعة لا يمكن تفويتها». يحدّثها عن لورد، المغنية القادمة من نيوزلندا، يكرر كلمة «نيوزلندا» فتطلب منه التوقف عن هذا. يحتار في سبب اعتراضها، ربما لأنها لم تشعر قط بحالة الزهو القومي، هي المزقة بين الفلسطينية الحاملة للمواطنةُ الْإسرائيلَية، أو شيء آخر: «ربما يكون جرس الكلمتين (نيو زيلندا)، على شفتيّ يشابه في أذنها الشكل الذي قد أقول به «شخيم» (نابلس). لهذان المكانان أهداف بعيدة ومؤثرة بالنسبة للإسرائيلي المغامر. لورد هي هدهد نادر، حنين عربية يجدها أصدقاؤها اليهود إكروتيكية بِشْكُل كَبِيرٍ. قَرَفَتْ مَن أَن تكون موضوعاً رومانسياً». في النهاية ترسل له ترجمة للأغانى يجدها غير ملائمة إيقاعياً لموسيقي لورد. عموماً فهي، مثلها مثل غيرها ممن ناقش معهن الفكرة، لم تبد حماساً كبيراً للمشاركة في المشروع.

إسرائيل كمرض مُعد

غادة دحدلة – الأردن

يبدأ موضوع التطبيع في فرض نفسه على النص وعليه مع اقتراح صديقته عَنَات عليه بأن يُشرك «ذلك الوسيم فَى مشروع ليلى»، فيكلِّمها عن حركة «ضد التطبيع» الن كانت «تحتج في الأصل على أي نشاط يخلق انطباعاً زائفاً بالحياة الطبيعية بين الإسرائيليين والفلسطينيين. أي مظهر كاذب للمساواة. يقول النشطاء إن ما يحدث ليس متحانساً، شعب بحتلٌ شعباً آخر». يواصل «مع الوقت، تطرفت الحركة (...) النوم تعارضون أي نشاط مشترك بين الشعبين، بغض النظر عن الرسالة التي يمثلها. وأحياناً تدعو حملة ضد التطبيع حتى إلى عدم المشاركة هذا القبيل. قبل مع هؤلاء الذين شاركوا في نشاط سنتين، دعوا لمقاطعة «مشروع ليلى» لأن الفرقة كانت ستغنى في بيروت مع فرقة «رد هات تشيلي بيبرز»، وكان هؤلاء قد عرضوا هنا (في إسرائيل) في جولةٌ غنائية».

ترد عليه صديقته: «أي شعب! إسرائيل كمرض معد». على مدار رحلته، يعرضُ يوفال فكرته على فلسطينيات كثيرات، منهن المغنيتان ميرا عوض ولونا أبو نصار، ولا يبدين حماساً. يحكى لصديقته دنيالا عن هذا، فتقول إن هذا بعنى أن ليس هناك شريكاً للسلام، فبرد: «أنا لا أتهمهم.. لمَّ أكن أُلعب مع الأطفال الأغنياء الذين يسرقون حقيبتي، لاسيما لو كان هذا سيشعرهم أنهم أفضل».

هنا يبدأ يوفال في تغيير فكرته. كان يريد دويتو في البداية، وتنازل الآن، لأن «هذا المشروع قد يظهر بسهولة

وللذباب كمصير محتّم يتربّص بخطوات الآخر. يتبارى كلا الإعلامين

على ترصّد إذلال الموت لآدمية الجسد البشرى، يقدّمانه بشراهة في

تراتبية انتصارات وهمية. ثم يعودان ويعكسان المعنى، فيصير الموت رمزاً

دلالياً لوداعة الضِّحية، ينقلب القاتل إلى مقتول، يتبادلان الأدوار لإكمال

حلقة المعنى، ولتطعيم المضمون الدعائي بنقيضه، فتظهر على الإخبارية

السورية أمُّ تحتضن ابنها البتور الساقين، تنتحب إلى جانب ابنها الآخر

يتكرّر الموت على قناة أورينت قادماً من قاع الأنقاض، الأجساد الحيّة

الناجية من قصف البراميل المتفجّرة تمسك بالجثث، تنتزعها من بين

في سيّارة مكشوفة، وجنديٌّ من الجيشِ النظامي يواسيها.

كنوع من تجميل المواضيع، وهي غير جميلة». يقرّر أن تكون الأغاني العربية وحدها والأغاني العبرية وحدها. في موضّع آخر يقول: «يكفينا كل الأميركيين والألمان رقيقو الأنفس يحاولون تحويل الصراع لمسرحية غنائية! ثمة جدار بيننا، وهذا الألبوم سيعكسه».

صحيح أن يوفال إشكنازي يهودي، وصحيح أن هذا يوفر له مزايا عديدة، المزايا الأكبر داخل مجتمع من المستوطنين، ولكنه أيضاً يبدو واعياً بهذا، ويكوح على طول النص توتر بين ما هو عليه وما يريد أن يكونه. عندما ترسل له حنين كلمات الأغانى بالعربية يتأمل في الخط العربي: «تطلعت للكلمات العربية على الشاشة، وتذكّرت كم كانت هذه الأبحدية تشعرني بالتهديد في طفولتي. كانت هذه لغة العدو، وحروفها المسنونة بدت لى مصنوعة من الخناجر والرماح.. على مدار السنوات علُّمت نفسى أن أقرأ هذه الحروف، ولكن شيئاً من الخوف التصق بي. وحتى الآن، كان عليّ أن أقنع نفسي أنني أنظر إلى كلمات لورد، وليس إلى فتوى ستبيح دمي».

وضعك السياسي كمقموع

أثناء رحلة «البحث عن شريك» يسافر يوفال إلى مدينة «بيت لحم» بالضفة الغربية. هناك يقترح عليه صديقه حسام أن يكلّم تامر ليساعده في مشروعه الموسيقي. تامر فلسطيني من الداخل، ولكن يوفال لا يريد تامر، وإنما يريد فلسطينياً من بيت لحم، من الأراضي المحتلة العام

67. لم يقل هذا، «كيف يمكن أن تقول لشخص: اسمع،

وضعك السياسي كمقموع هو التوابل المثيرة التي أريدها

لألبومي!».

يثير هذا سؤالًا: لماذا بحث يوفال عن النساء ولم يبحث عن الرجال لمشاركته المشروع . لهذا تفسير جندري وثقافي: «ما أزعجني أكثر من أي شيء هو فكرة أنني أقوم بتحويل فلسطين لموضوع جنسي. بُنَى القوة في البلد تَذكرني أحياناً بالزوجين المتشاجرين. الزوجان عنيفان، ولكن إسرائيل لديها فائض من القوة البدنية وبيديها مفاتيح القبو. وهذه الوظيفة محفوظة عموماً للرجل. لم أتماهَ مع سلوك هذا (الرجل)، حاربت ضده، أردت بكل قوتى أن أنقذ الفتاة المأزومة، بكلمات أخرى، استبطنت الشُّقْرةُ الجندرية». ويضْيف: «أردتُ أن أُصَنعَ ألبوماً مع النساء، أن أنسج قصص حب أكون فيها أنا الرجل». «كان هذا خطراً. قرأت ما يكفى من التنظير ما بعد الاستعماري لعرفة كم أن توجّهاً كهذا كئيب وجذوره مريضة. خلال مئات السنوات شفّر الغرب العالم العربي ونسب له صفات نسائية لمصلحة فانتازيا عن السيطرة. سأكون ملتزماً بشكل ما بالتخلص من هذا النموذج. سأكون ملتزماً بإجراء عملية جراحية لتغيير الجنس السياسي».

سكارليت جوهانسون عندها غازات

يبدأ التفكير في مغني راب حيفاوي، رجل هذه المرة، تامر نافر، الذي سمع له أغنية بعنوان «سكارليت جوهانسون

عندها غازات». ويشرح العنوان: «عملت جوهانسون كعارضة لشركة «سودا ستريم» التي تنتج منتجاتها في الأراضي المحتلة. وركّز عليها نشطآء حركة (BDS)، الذَّين ينادُّون بالمقاطعة، وسحب الاستثمارات، وفرض العقوبات كوسيلة ضد الاحتلال، بهدف جعلها تعتزل الحملة. ظلت جوهانسون مخلصة لسودا ستريم، وحظت بهدية نافر الموسيقية».

«أنا أميل لدعم BDS.. أرى العقوبات كأداة سلمية ومؤثرة في إمكانية خلق تغيير. أعجبت في ما مضى بَانْجِازَات نَّشُطائها الذين تسببوا في منع فنانين دوليين من الظهور في إسرائيل. الغضب بين المعجبين في هذه اللحظات يمدنا بلحظات نادرة، يشعر فيها أبناء شعبي المرقَّمون للحظة بعدم ارتياح للواقع المحلى».

تاريخ الموسيقي الإسرائيلية

في النهاية، ينفتح الموسيقي الإسرائيلي على احتمال آخر لهويته. يبدأ في أسترجاع التاريخ الموسيقي لإسرائيل: «ولدت الصهيوتية في روسيا، وكانت الأغاني الصهيونية الأُولى أغاني شُعبية روسية. قبل بداية القرن العشرين بِقَلِيلَ، جِلبُّ المَهاجُرونَ الأُوائلِ أَنْغَامِ الْكاليِنْكَا للبلد التَّي كانت روحها الموسيقية غير روسية في الواقع، بلد الدبكة والميجانا». مع الوقت تحوّلت إسرائيل لسفيرة المصالح الأميركية في الشرق الأوسط، وحلت الثقافة الأميركية محل الروسية، «فنانو المينستريم الإسرائيليون الشباب وجدوا الإلهام في حركة (نوافا كانسيون) في أميركا الجنوبية، في (الشنسون) الفرنسي وفي النهاية في (الروك). فقط القلائل منهم اهتموا بالحيز المحيط كمصدر للإبداع. العرب هم الأعداء، سلالهم الغريبة واستخدامهم للربع تون شكلت تهديداً».

كل هذا كان على السطح. في الوقت نفسه ظهر اليهود الشرقيون في المشهد وصنعوا موسيقاهم التي تأثرت بأنواع لا نهائية من الموسيقي العربية والمتوسطية، من اليمن والمغرب إلى تركيا واليونان: «شكّل اليهود الشرقيون على الأقل نصف تعداد اليهود في إسرائيل، ورغم هذا أزيحت موسيقاهم بواسطة السلطة وافرة القوة. على مدار طفولتي، غابت الموسيقي الشرقية سواء عن الراديو أو محلات الشرائط.. كبرتُ وأنا أفهم أن هذه الشرائط لا تحوى إلا الزبالة. الموسيقي الحقيقية كانت غربية، بالضبط مثلماً أن الثقافة الحقيقية هي فقط ثقافة الغرب».

ينجذب يوفال شيئاً فشيئاً إلى فكرة أن تكون هناك في ألبومه معالجات لأغانى «لورد» وفق الأسلوب الموسيقي لليهود الشرقيين، مع معالجات بالعربية والعبرية لها، حيث سيغنى تامر نافر بالعربية وهو يغنى بالعبرية، بالأضافة لمعالجات بالبيدشية وبالفرنسية، وبسائر اللغات التى تحدثها اليهود سابقاً. يقول: «ارتبطنا بالصفة الأَكْثر وضوحاً لبلدنا: أزمة هويتها»، وينجح في مشروعه كما قرر فكرته في صيغتها الأخيرة.

هذه الرحلة تجرى كلها من خلال عيني إسرائيلي يساري إشكنازي، يسعى للخروج من فقاعته والتعرّف على جماعات أخرى، ولكنه يعى أيضاً أن خروجه سيكون محدوداً، لكونه صاحب الامتيازات الأكبر في مجتمع قام أصلًا على الاستيطان والتهجير بإحلال جماعات محل جماعات.

نائل الطوخي

روائي ومترجم من مصر

تُطلِ الدعاية، كمضمون خطابي، من تلفزيونات النظام والعارضة مطهّمة بالخطاب السياسي للقوى التنازعة على الأرض، متجنّبة الاقتراب من خطاب جامع للسوريين، متحيّنة فرص التبرير الذاتى، طاعنةً بمصداقية خُطاب الآخر، مكرّسةً خلال السنوات الأربع الماضية مشروعَين، واستقطابَين. فالمضمون الإعلامي ظلّ حبيس النص الإيديولوجي للخطاب السياسي متودّداً من مناصريه، منفلقاً على سواهم، لاهياً عن مغبّة مواصلة إنتاج سوريا في الخطاب السياسي ثم الدعائي مقسومةً إلى شعبين توزّعا على أصقاع أخّذت نصيبها من حرارة النزاع العسكري.

القسمة على علمين

بعد العام 2011 تَحدَّدَ الشارع السوري بلونَيْن، يتَّكئ كلُّ منهما على علم، شاءت الصدفة أن يكون العلم الحالي للدولة هو نفسه علم الجمهورية العربية المتحدة الذي ارتفع لأول مرّة في 1 نيسان / أبريل 1958، ترمز النجمتان الخضراوان فيه إلى الإقليميّن المتّحدين سوريا ومصر، وأن يكون علم المعارضة هو نفسه علم حكومة الانفصال العام 1961، وهو بالأصل علم الاستقلال المرفوع في 17 نيسان / أبريل 1946 وهو أيضاً العلم الذي اعتمده دستور العام 1930. العلمان تسلّلا من الأروقة الخلفية للخطآب الدعائي، فصارا متنهُ المضمر. شارات تلفزيونات السلطة تبدّلت تباعاً. تحوّل شعّار قناة الدراما الفضائعة إلى علم الدولة في أعلى يسار الشاشة ممدوداً على هيئة مستطيل تاركاً اسم القناة حبيسَ أضلاعه الأربعة. قناة الإخبارية السورية استعارت من علم الدولة اللون الأحمر خاطةً منه حرف 🛭 باللغة الإنكليزية، وقناة السوري الحرّ أضافت إلى جانب شعار النسر الخاص بالجيش الحرّ علم الاستقلّال على الزاوية المقابلة من الشاشة خاطةً ضمن اللون الأسود فيه عبارة «اسقطوا من يريد إسقاط علم الثورة». قناة أورينت تجمع العلمين معاً، تدكّهما في مقطع تمثيليّ قصير تظهر فيه فتاة نفهمها رمزياً على أنها سوريا الوطنّ، تحمل علم الدولة، تتجهُ صوب جدول ماء، تغسل العلم فيه فيصيرُ علمَ الاستقلال، طارحاً عنه اللون الأحمر، نفهمهُ رمزياً على أنه الدم الذي سفكهُ

رمزتة العلمان اجتذبتا مبكراً فكرة الانقسام، عمقتها بلا طرح بدائل لخطاب إلغاء الآخر غير الفاعل في معادلة الاقتتال العسكري. الجمهور العادي صار جزءاً من حالة التجييش، وامتداداً ساكناً لفعل الصراع.

تعميم الموت، تعميم الخوف

يتوافد الموت يومياً من الصورة التلفزيونية، يتعدّى الصيغة الخبرية لتى تحصيه، يأتي فاقعاً كمضمون دعائي يعلل السطوة في استخدام أدواَّت الدمار، ويعَّمُم مشاهد الأَّجساداُّ الْبِقُورة المكشوفَّة للشمس

أشلاء الأبنية، وتركض بها مُنتحبة، تَجلد الهواء بأصواتها متوعدة بإذاقة رموز النظام من الكأس ذاته. بينمًا تهرول الإخبارية السورية إلى حيثُ أصابت رشقات من قذائف الهاون بعض أجزاء دمشق، تركّز عدستها على العاصمة أكثر من سواها، تترصّد الأجساد المصابة بالشظايا لحظةً تدخل المستشفيات الحكومية من فوّهة الإسعاف، تلتقط منها الدم وهذيان الصوت المتوعّد بالانتقام من الإرهاب ودحره. يؤمّن الموت إذاً، كما العلم، رموزاً دعائية كثيفة الأثر يصير معها العلم

قاتلًا وقتيلًا في آن، يستنجد بمن يصدّقه ليضمن إطالة شرط الصراع الإلغائي. تقول نظرية الإنماء الثقافي التي راجت خلال السبعينيات في



«طلق ناري... مجهول الهوية»/ بيسان الشريف ـ سوريا

تسترخى قناة السورى الحرّ خلال بثّها الصباحى، فتُغدقُ في رسائلها الإعلامية وصفات لإنماء روح العقيدة الجهادية، تستحثُّ لها نصوصاً صُوتيّة من الوعظ الديني وآيات من القرآن الكريم، وفي مقطع تمثيليّ، نرى شاباً تسرقه حياةٌ لآهية قبّل موته، يصحح مسارها صوّت المعلّق

الولايات المتحدة إن المواظبة على مشاهدة التلفاز ولفترات طويلة منتظمة

تدفع المتلقى إلى الاعتقاد بأن الصورة التلفزيونية هي صورة العالم الواقعي.

فصول من الضخ العقائدي

متَّسَائِلًا لِمَاذَا لِمْ يُمضَ هذا الشَّابِ وقتاً أطول في الصلاة والدعاء، وما قيمة الحياة أصلًا إن لم يكنَ هدفها طاعة الله والاستعداد للقائه؟ قناة أورينت كفّت عن تسمية «داعش» بهذا الاسم، ذهبت متوددة إليه بأن صارت تسمّيه باسمه الذي يحبّ، «تنظيم الدولة الإسلامية». الاسم بقدّم مضموناً دعائياً جديداً تلاقى فيه القناة أحلام التنظيم الجهادية في

توسيع رقعة دولة الخلافة تحت رايات الجهاد والفتح المبين. فيما تستبطن الإخبارية السورية التابعة للنظام فكرة التسويق الدعائي للجيش كحلّ وحيد لتناقضات فتاوى الأرض المتنقّلة بين تكفيره في مناطق ودعمه في مناطق أخرى، تطلّ علينا الفكرة أيضاً في مقطع تمثيليّ تعرضه قناة «ستورية دراما» تظهر فيه فتاة تتابع على تلفازهًا معاركً يخوضها الجيش، ثم تظهر مجموعة جنود يركبون سيَّارة مكشوفة، يهتفون «بالروح بالدم نفديك سوريا»، تتحمّس الفتاة للهتاف، تزيل طلاء أظافرها، ترتدي بزّةً عسكرية، تلحق بالسيارة، ثم نشاهدها على الجبهة وقد صارت جنديّاً. تقترح نظرية التبعيّة في الاتصال أن الجمهور يعتمد على معلومات وسائل الإعلام لإشباع حاجاته، ويرتبط تأثير وسائل الإعلام على المتلقى بدرجة اعتماده على تلك المعلومات والصور المعروضة

فضاء يضيقٌ بالآخر

تغيب عن شاشات النظام والمعارضة المضامين الدعائية التي تقبل سوريا وطنأ واحدأ لجميع أبنائه الموالين للثورة منهم والموالين للنظام، فتقبل بذلك الآخر المختلف، وتختار حواره، تشاطره التفكير، وتشاطرهُ تشخيص الحلِّ. لا أفقَ ينفتح عليه الأثير الفضائي سوى الأفق المضمّخ بالدم، ومزيد من المواضيع التي تستجلب دور المنتصر النهائي، وتقلّد دور الضحية بشكل متقن.

أيمن الشوفي

4 حزيران 2015 ـ العدد 13085 Thursday June 4, 2015



حمد عتابا من عكّا،

لاعب باركور

127 مليون دولار هو حجم الاستثمارات الإسرائيلية في المغرب وفق «جمعيّة أخلاقيات القيم المنقولة» المغربية. ومن بين الشركات الإسرائيلية المستثمرة شركة «دلع» لحفاظات الأطفال وشركة «زيم» للملاحة، يشنّ ائتلاف مكوّن من 26 جمعيّة ونقابة حملة لإيقاف نشاطهما.

ĩ + + t

عمالة أسيوية في بلاد ما بين النهرين!

حلَّ شخص آخر بدل سليم، لكن وجهه أكثر جهامة بسبب عدم تعوِّده على المكان. أين سليم؟ ذهب إلى بلاده. وقع ضحية شركات التشفيل العراقية، لكنه جمع ما يعينه على ضنك العيش في بنغلادش، اشترى ماعزاً وأسس بيتاً وسيتزوّج حبيبته التي انتظرته.

سليم هو عامل القهى الذي نلتقي فيه وسط بغداد، دخل إلى العراق على أنّه سائح ديني حين استقدمته شركة تشغيل عراقيّة غير مرخصة لدى الحكومة، وحصلت له على الفيزا، ووصل إلى بلاد ما بين النهرين ليلم مالاً يعينه على الفيزا، ووصل إلى بلاد ما بين النهرين ليلم مالاً يعينه على قضاء حياته في بلده الغارق في الفقر. وبطبيعة الحال، ليس اسم الفتى الأسمر سليم، وإنما وهبه مشغّله في بغداد هذا الإسم ونزع عنه اسمه الذي جاء به، وتمت حفلة تغيير الأسماء هذه دون مفاضلة: ليس أمامه خيارات سوى تحمل كل شيء. وكان مانيك (الذي حوّل مشغله السمه إلى مالك) قد فعلها قبل سليم. أخبرني بأنه اشترى البقرة الثالثة وأنه ذاهب إلى بلاده إلى غير رجعة. شرح كيف سيعيش بلهجة فراقية واضحة قائلاً إنّه سيتخلّص من السيرات المفخخة عراقية واضح بلادنا ومنح مشغله عنوانه في حال زار بنغلادش.

عمّال الاحتلال

يعود وجود العمال الآسيويين في العراق إلى لحظة 9 نيسان /أبريل 2003، إذ لم تكن البلاد قبل ذلك تعرف عمالاً أجانب بهذا العدد، والحصار الذي فرضه مجلس الأمن الدولي على البلاد قبل وصول الاحتلال قد جعل العراقي عاطلاً عن العمل، بدخل يومي يعادل نحو نصف دولار. فما الذي يتعارك من أجله الفقير الآسيوي مع الفقير العراقي آنذاك؟

كان الجيش الأميركي وما رافقته من شركات أمنية وخدمية يستقدمون العماّلة الآسيوية من أجل تخفيف أعباء المصاريف الملقاة على عاتقهم في الحروب. إلا أنه استقدام يقترب من العبودية إذ تمّ توظّيف الشبّان في بلدانهم الفقيرة آنذاك على أنهم سيعملون في دول متعددة ۖ في الشرق الأوسط، وعلى وجه التحديد الأردن والكويت والسعودية. بيد أنه يتم اخبارهم حال وصولهم إلى تلك البلدان بأنهم سينتقلون إلى العراق. بذا لم يكن أمام الكثير منهم إلا القبول نتيجة الديون التي خلفوها في ديارهم من أجل إيجاد عقد عمل خارج بلدانهم، إذ تقدّر النّقابات العماليّة في الهند، على سبيل المثال، أنه يترتب على العامل الهندى من أجل أن يجد عملًا خارج بلاده، تأمين نحو 1800 دولار لشركات التشغيل في الخارج، وهو يتلقّى مقابل ذلك في البلدان التي يفد إليها مرَّتباً شـهرياً يتراوح بين 350 و800 دولار أميركيَّ شـهريّاً. «إنه يشبه معسكر اعتقال»، هكذا نقل الصحافي الأميركي ديفيد هيفي عام 2004 عن أحّد العمّال الآسيويين العاملين مع الجيشّ الأميركي، وهو يشرح معيشته ونومه في مطار بغداد، الذي كان تُكنة عسكرية كبيرة تابعة للولايات المتحدة الأميركية. لكن هذا ليس وحده الذي تحمله المعاملة

الوحشية لهؤلاء من قبل الجيش الذي جاء «محرراً» العراق، إذ يتعدى الأمر إلى جعل هؤلاء السمر في مقدمات الأماكن التابعة للجيش الأميركي، أي كبش فداء أثناء تعرض المقار إلى هجمات. فضلًا عن ذلك، فإن الكثير من هؤلاء خُطف وأعدم من قبل المتطرفين على أنّه متعاون مع «النصارى»، ولم تحرك الولايات المتحدة طرفاً للتفاوض من أجل استعادتهم، على العكس مما فعلت مع جنودها.

مع انسحاب شركات الخدمات التي رافقت الجيش الأميركي، وهي في غالبها متخصصة بإطعام الجنود والمنظومات الالكترونية وبناء القواعد، وضعت العمالة الآسيوية القادمة من الهند وبنغلادش وسيرلانكا والفلبين مجدداً أمام خيار البقاء في العراق للعمل لمصلحة شركات عراقية مرتبطة بشركات العمالة الأجنبية في الخليج، أو الرحيل إلى الخليج لتواجه البطالة هناك ومن ثم الرحيل إلى بلادها. ما كان على الآلاف من هؤلاء، والذين لم يستطيعوا بسديد دين «العمل خارج البلاد»، إلا الموافقة مجدداً على البقاء في أرض تزداد توتراً أمنياً.

بهذه الطريقة، بدأت العمالة الآسيوية تتسرّب من المنطقة الخضراء، محميّة الجيش الأميركي والسياسيين العراقيين، والثكنات العسكرية، إلى الشارع العراقي ليتنافس العامل الآسيوي مع العامل العراقي.

في البداية، كان العامل الآسيوي الذي لا يكلف رب العمل سوى وجبتي طعام خفيفتين وفراش بسيط في أي مكان، يتلقّى مرتباً لا يزيد على 250 دولاراً في الشهر، بينما لا يسد هذا المبلغ نصف أيام شهر العراقي، الذي يتحمل تكاليف السكن وأعباء مصاريف الكهرباء والطب المرتفعة. هكذا صار المُشغَل العراقي يفضل العامل الآسيوي لأسباب عدة، ومنها بشكل رئيسي، استغلاله في العمل لأكثر من 14 ساعة في اليوم وعلى مدار 30 يوماً في الشهر من دون أن يواجَه بالتذمر أو التهديد بترك العمل.

لزيد..

مع إثبات العمال الآسيويين خنوعهم لأربـــاب العمل م مجبرين ـ ازداد الطلب عليهم من المشغلين العراقيين. ومع غياب الدولة وجشع السوق المنفلتة في العراق، ولا سيما في مجال المقاولات التي تتحصلها الشركات من الدولة في خانة «مشاريع الإعمار»، جرى استقدام أعداد جديدة من العمالة الآسيوية غير تلك التي خلفها الجيش الأميركي وراءه.

نما بهذا الشكل جيش من الأسيويين السمر في المحال والشركات العراقية، يعملون بلا كلل من الصباح حتى المساء، يتحملون إهانات مشغليهم، وقد أدّت وفرة الطلب على العمالة الأسيوية إلى إيجاد مساحة للتنافس على تشغيلهم ما رفع مرتباتهم من 250 إلى نحو 400 دولار.

وعلى العكس من البلدان التي تلتزم الشركات التي تستقدم العمالة الأجنبية التفاوض مع المشغلين، يُفاوض العامل الأسيوي في العراق رب العمل على أجوره، ولا تقوم

الشركة إلا بإدخاله إلى البلد عبر مافيا تتكوّن من عدة شركات سياحية متعاونة مع وزارة الداخلية للحصول على «فيزا» السياحة الدينية.

حدت الحالة الأمنية الهند إلى حظر السفر على مواطنيها للعمل في العراق، إلا أن نقابات العمال الهندية تفاجأت بتواجد نحو 20 ألفاً من مواطنيها في البلاد، وتسرب أغلب هؤلاء بالطريقة القديمة ذاتها.. أي عبر دول الخليج وعبر شركات مختصة بتشغيل العمال. أما بنغلادش، التي يعتمد اقتصادها بشكل كبير على الحوالات التي يرسلها عمالها ومهاجروها خارج البلاد (استقبلت عام 2009 و2010 نحو 11 مليار دولار منهم)، فأعلنت مرات عدة حظر السفر إلى العراق لكنها العمال من الفوضى الأمنية في العراق، فسقوط ثلث البلاد في حزيران / يونيو العام الماضي بيد تنظيم «داعش» أدى ألى فقدان الاتصال بـ24 عاملاً هندياً في الموصل، فضلاً عن مرضات كانت الحكومة العراقية قد تعاقدت معهن. أما في محافظة صلاح الدين، فقد أحرق «داعش» نحو 60 عاملاً محافظة صلاح الدين، فقد أحرق «داعش» نحو 60 عاملاً بنغلادشياً أمام الملأبحجة تعاونهم مع الحكومة «الصفونة».

سليم ومانيك وحسن

تقدر وزارة العمل والشؤون الاجتماعية عدد العمال الآسيويين المتواجدين في العراق بطرق غير شرعية بنحو 150 ألف عامل، شكلت من أجل الحد من وجودهم 28 لجنة تقيشية تقوم بتغريم المحال والشركات التي تشغلهم بمبلغ يعادل 2500 دولار، فيما تقدم العمال إلى محكمة العمل، التي غالباً ما تقوم بترحيلهم إلى بلدانهم أو البلدان التي قدموا منها. لكن هذه الآلية يشوبها فساد، إذ سرعان ما يعود العامل الآسيوي إلى الشركة التي استقدمته لتقوم الأخيرة بتقديم الرشى للإبقاء عليه في العراق، ويتم هذا أيضاً وفقاً لصفقة مالية بين العامل والشركة.

سليم الذي قرر الرحيل إلى بلاده بعد أن جاءته لجنة تفتيشية إلى المقهى، قال لمشغله إنه لم يعد يطيق البقاء في البلاد. أما مانيك الذي بلغ سن رشده في العراق بعد أن جاء قاصراً إليه، فداوم في العراق لثلاثة أعوام، وتعلم اللهجة العراقية حتّى صار لا يمكن التفريق بينه وبين أبناء البلد. حسن، عامل الشاي العراقي في المؤسسة الصحافية حيث اعمل هو الضمير الجماعي في التعامل مع هؤلاء العمال: مردة، وضبّ حسن أغراضه، وجاء ليتمنى الخير لي لأنه لن يراني بعد ذلك، وقد بدت ملامح الغضب واضحة عليه، «ما الذي حصل لتترك العمل؟»، أجاب: «اشتروا بنغلادشي بدلاً عني».

عمر الجفّال

كاتب صحافي من العراق



arabi.assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي» ـ لمرفأ دائم في قبرص باتجاه غزة ـ فانغليس بيسياس ـ وما يزال التلقين مستمرا ـ موسى بيطار ـ «روليت بغدادية» ـ امتياز دياب ـ تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي ـ Assafir Arabi ـ تواصلوا معنا على «تويتر»: ArabiAssafir

.. بــألــف كـلــمـة



الصومال.. بحرٌّ وناس





مدونات

إلى تدمر

استولى علينا القلق والحيرة والإرهاق، رحنا نقطع رحلة الوجع الطويلة، ننتقل من أسى إلى آخر إلى أن بلغنا الدهشة الأقرب إلى الذهول... كنا أقرب إلى حالة التشنج العارمة، الصدمة التي بقيت تحت ذاكرتنا المتجددة، ما أن تنام حتى تفيق على الصراخ والألم. نتدحرج مرة ونقع مرة ثانية.. صارت حياتنا ملك مجموعة من الحمقى، العسكر، يفعلون بنا ما يريدون وإيعازهم

- أُمشِّ يا عرص، أَمشِ يا ديوث، أَمك قحبة! الضرب والركل والبصق والرفس مترافق مع المشي القاسي. العرق يتصبب من أجسادنا بغزارة في هذا الشتاء البارد. والنفير العسكري مستمر: أَمشِ يا خائن، يا فاسق، يا خسيس. من تحت الطماشة كنت أرى أحذيتهم الكبيرة، الجزء السفلي المدلى من الكرباج الذي يضربوننا به. قلت في نفسي: هذا الوطن غربة، إحساس خانق بالضياع. وكنت موقناً أن الدم سينفر من شراييني...

من صفحة Aram Karabet على فايسبوك

توفيق الذي لا نعرف عنه شيئاً

قبل وأثناء حرب صيف 1994 كان توفيق سيف كثير النقد لما يسميه الثقافة البرُقية الخاطفة، السهلة والاستهلاكية. كان ضد تخندق الناس في مشاريع تحمل شعارات رئانة ولا تقدّم الجديد. يومها لم ننصت إليه نحن الذين كنا نأمل التغيّر والتحوّل. ثم اكتشفنا أهمية ما كان يطرحه بعد أن عشنا الكارثة.

الهمية فا حال يتعرف بعد الله طلبة المداردة.

اليوم، أفكر به وبسجانيه. ماذا يريدون منه وأي خطر يمكن أن يشكله عليهم؟ توفيق القباطي أو توفيق سيف أو توفيق الأكسر، كما بدل اسمه أكثر من مرة، لم يكن لديه، إلى ما قبل أربعة أشهر، حتى تلفون موبايل وليس لديه صفحة فيسبوك أو تويتر. وأكثر ما يمكن أن يقوم به هو أن يقول رأيه بصوت خفيض في أحد المقاهي أو اللوكندات الشعبية الترصادت، قداً لاقادته

الله المالة الم

الرخيصه والفقيره. توفيق الذي كتب قصيدة عن رنا والنسيان، لم يعرف أحد خبر اعتقاله سوى قبل أيّام، وكانت الحرب قد أنستنا السؤال عن كل شيء بما في ذلك توفيق الذي هو نحن...

من صفحة «علي المقري» على فايسبوك

تحرش

فعلًا صعب على الرجالة تفهم نتيجة التّحرّش الجنسي إلاّ لو كانت الضحية من أعز الناس إليهم. النهار ده حصل . .

من أعز الناس عليًا في حياتي اتعرضت للتحرش والضرب في عز النهار. ولسخرية القدر دا حصل قدام «بيت الأمة»، ضريح سعد زغلول. علشان نعرف الأمة وصلت فين. ساعات من البكاء المتواصل والرعشة في كل جسمها. كل نفس بتاخده كأنه آخر نفس، كأنه خارج من حد غرقان، حد بيقاوم الموت وبيتمناه بسرعة. ساعات علشان أعرف الحكاية.

الحيوان حاول يتحرش بيها ولما زعقت فيه ضربها بالقلم وحاول يضربها كمان كأنه مستغرب إزاي تقاوم. ولد أجنبي كان معدي سمعها من بعيد فجرى عليها والمتحرش شافه وهرب. مجتمعنا المتعود على التحرش بكل فئاته اكتفى بنظرة الخزي، بصّ للأرض وكمل طريقه. أمّا المتحرش فبالتأكيد دلوقتي حر بيدوّر على اختك، حبيبتك، أمك، بنتك، اللي عمرنا ما وفرنالهم مساحة آمنة للتعبير عن اللي بيحسوا بيه وبنلومهم عللي بيحصلهم وبنعاقبهم على كونهم ضحية. حكاية مش حديدة؟

أما هي، فمن الجمل القليلة اللي قدرت أسمعها من وسط بكاها أنها كانت راجعة البيت لما الولد اتحرش بيها ولما ابتدى يضربها افتكرت في لحظة ان في شنطتها قزازة زيت بس خافت عليه تضربة بيها يتعور. هو زي شباب كتير هي بتتطوع من سنين علشان يتعلموا انكليزي ويحسنوا مهارتهم علشان يلاقوا شغل او ميركبوش المراكب غير الشرّعيّة. ندمها الأكبر انها مقدرتش تحمي نفسها انها هاتخاف من نزول الشارع أزيد من قبل كدا، إنها مخلوقة امرأة وهاتعيش في مجتمع بيخذلها كل يوم.

من صفحة Emad Karim على فايسبوك